Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تعـــود أن يُغبـــز في السرايـــــا ويـدخـل مـن قتـام في قتـيـــام
فـأمسك لا يطـــال لـــه فيرعى ولا هـــو في العليـــق ولا اللجـام

إنه يعترف – وكأنه يهمس لنفسه – أن تشخيص الطبيب لدائه ، لا يمكن أن يفسر – على وجه اليقين – مرضه . لأن الطبيب يعتمد على الظواهر المادية في الجسم الإنساني ، ولا يمكن أن يتجاوزها إلى أشياء خارج هذا الجسم . وتحس في كلام أبي الطيب نبرة شبه ساخرة من تشخيص الطبيب . فهو يحدد مرضه في أنه «أكل شيئاً . وأصل دائه في الشراب والطعام» . ويشخص لنا المتنبي داءه ، وهو يواصل سخريته من الطبيب بقوله « وليس في طبه شيء عن علتي التي تتلخص في أنني جواد أضر بجسمه طول الاستجمام والراحة . بعد أن كان يخوض المعارك ويقتحم الأهوال ويصافح الخطوب . وهو جواد مقيد مشدود بالحبال» . ويرى أن أثر هذه الحالة النفسية هي السبب الأساسي لمرضه العضوي ولكل أمراضه الأخرى .

وتأمل كيف يصل الشاعر العبقري إلى أدق النظريات العلمية . فنحن نعرف الآن من خلال بحوث الطب النفسي ، أن هناك قسماً من أقسام هذا العلم يبحث في الأمراض العضوية التي تنجم عن أسباب نفسية .

لا أريد أن أقول إن المتنبي كان على علم بنظريات الطب النفسي ، ولكنه توصل – بفطرته الفنية وشاعريته – إلى أدق حقائق هذا العلم . وهذا سر من أسرار عبقرية الشخصية وجاذبيتها التي كررنا كثيراً في هذه الدراسة أن المتنبي يتمتع بهما .

وهما اللذان يفسران ما نحسه في شعره من (إشعاع فني) حددناه في كثير من مواطن هذه الدراسة .

نجيء إلى المشهد الرابع والأخير في هذه القصيدة أواللوحة . وهو مشهد من أربعة أبيات ، وقد حاول فيه – المتنبي – أن يحدث هذا التوازن بين التيارين اللذين يتصارعان في نفسه . فبعد المشهد الذي يغلب عليه الحزن والانكسار ، يجيء هذا المشهد الذي يغلب عليه التأبي والكبرياء :

فـإن أمرض فمـا مـرض اصطبـاري وإن أحمـم فمـا حـم اعتـزامـي
وإن أسلـم فمـا أبقـى ولـكـن سلمـت مـن الحمـام إلى الحمـام
تمتـع مـن سهـاد أو رقـاد ولا تـأمـل كـرى تحـت الرجام
فـإن لثـالـث الحـالـين معنـى سوى معنـى انتبـاهـك والمنـام